مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: فلسفة الإنسان الخطاء عند "بول ريكور" (القراءة التأويلية لمفهوم اللاعصمة)
اسم الكاتب: أ.م.د. سوسان الياس
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2997
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 01:45 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على
info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

Damascus University Journal of arts and humanities sciences
Vol 39 No.2 (2023):1-12

مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 39- عدد 2(2023): 1-12

فلسفة الإنسان الخطّاء عند "بول ريكور"(القراءة التأويلية لمفهوم اللاعصمة)

د. سوسان إلياس[1]

1 أستاذ مساعد – قسم الفلسفة – جامعة دمشق – كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة طروحات "بول ريكور" حول الإنسان الخطّاء ومسألة الشرّ من منظور تأويلي، الهدف منه إقامة إنتربولوجية فلسفية يتلاقى فيها النظر بالعمل وبالشعور، يطرحها "ريكور" على أرضية بنى الواقع الإنساني في اللاتناسب وقطبية المتناهي واللامتناهي ومفهوم التوسطية، والتي تكشف عن الهشاشة النوعية والضعف في بنية الإنسان و يدخل الشر منها، يلحظها "ريكور" في مفهوم "عدم العصمة" بوصفها إمكانية لانبثاق الشر: فالإنسان يمارس الشر بإرادته أو باستعماله لحريته، بوصفه كائنًا ناقصًا ولا معصومًا، يعترف بمسؤوليته عن اقترافه للخطأ وقيامه بفعل الشر.

وفي السؤال عن ماهية الشر يخلص "ريكور" إلى أن الإنسان ليس هو أصل الشر بل "صادفه واستأنفه"، وعلاقة الإنسان به علاقة صراع، ليس بهدف إلغائه وإنما تطويعه والتخفيف من آثامه وآلامه، عن طريق رفع معدلات عمل الخير ونشر السلم ومقاومة العنف.

الكلمات المفتاحية: الشر، عدم العصمة، محدودية الإنسان، الإرادة الإنسانية.

تاريخ الايداع 2021/3/17
تاريخ القبول 2021/4/17

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

ISSN 2789-6552 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php

Paul Ricaeur's Wrong Human Philosophy (The Interpretation of the Concept of Infinitesimal)

Dr. Susan Elias [1]
[1] Assistant Professor - Department of Philosophy - University of Damascus - College of Arts and Humanities

Abstract:

The research examines Paul Ricoeur's presentations on the wrong human being and the issue of evil from an interpretive perspective, it aims to establish philosophical anthropology in which consideration, action, and feeling converage. Ricoeur put it on the ground of the structures of human reality in incompatibility, polarity, infinite and infinite, and the concept of moderation. Which reveals the specific fragility and vulnerability of human structure, and it introduces evil into it. Ricoeur summed it up in the concept of (immaculate) as a possibility for evil to emerge. Human beings exercise evil by their will or by their use of their freedom as imperfect and impervious beings, he admits responsibility for wrongdoing and evil.
And in the question of what evil is. Ricoeur concludes that man is not the origin of evil, but "came across it and resume it". The relationship of man to evil is a relationship of conflict. Not to eliminate it, but to adapt it and alleviate its sins and pain by raising the rates of good, evil, and peace.

Key words: Evil, Infallibility, Human Limitation, Human Will.

Received: 17/3/2021
Accepted: 17/4/2021

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

المقدمة:

تواجه الإنسان كثير من المصاعب والمخاطر والآلام والحروب، وكلها شرور تعكر عليه صفو حياته وتسلبه لذة بقائه، فنحن نشعر في كل لحظة بأن جذور الشر تبدو وكأنها متأصلة في أعماق الوجود، ومهما قيل بأن لفعل الخير قيمة تعويضية لما في الحياة من شرور، فإن الشر يبقى – وبحسب "ريكور" – قبل كل شيء ما كان يجب أن يكون. هذا كله جعل من الشر مشكلة تمثل تحديًّا حقيقيًا للفلاسفة واللاهوتيين على حد سواء.

إن التأمل الفلسفي، بمعنى من المعاني، هو إدراك لما في الوجود من ألم وشر أخلاقي، فنحن لا نتساءل لماذا وجد العالم وحسب، بل نتساءل، أيضًا، مع شوبنهور: لماذا كان العالم حافلًا بكل تلك الشرور[1]. وما حقيقة تلك الشرور التي تتربص بكل أفعالنا، مهما بدت تلك الأفعال متلبسة لبوس الخير؟ ومن هو مصدرها؟ هل إرادتنا الحرّة، أم الله بوصفه خالقًا للعالم والمسؤول عن خلقه؟ وهل باستطاعتنا أن نحمّل الإنسان المسؤولية كاملة عما في الوجود من شرور، أم أن العالم تحكمه "الفوضى" و"عدم الانتظام"، أو قل هو نقص لا سبيل لتفاديه، وعندها تصبح فكرة "ليبنتز" عن أننا "نعيش في أفضل العوالم الممكنة" غير صالحة، لأن صورته الحالية تنبئ بفداحة "خيرية" هذا العالم.

ألم يقل "لامارتين": إن "الإنسان محدود في طبيعته، لا نهائي في أمانيه"[2]، ما يجعله يعيش حالة انقسام على ذاته، تشعر الذات فيها أنها مشتتة، تستشعر قلقًا وتمزقًا داخليًا لحالة وجودها الشقي في العالم.

و"باسكال" يتحدث في "خواطره" عن أن الإنسان مخلوق مفعم بالضلال، مليء بالعيوب، لا سبيل يرشده إلى الحقيقة، كل شيء يخدعه، الأمر الذي يزيد من آلامه وصعابه في الحياة ويشعر بالكآبة والحزن على ما هي عليه حاله. وعندها يطلق عبارته الشهيرة "بأن الإنسان شقي، ويعرف أنه شقي"[3]. فهو وحده من بين الموجودات الذي يعيش آلامه وعذاباته وبؤسه، وشقاؤه "آت من خطيئة آدم التي أفسدت الطبيعة"[4]، مؤكدًا ـ باسكال ـ أن الشر سهل، وهناك شرور لا حصر لها، أما الخير، فيكاد يكون فريدًا وحيدًا، في حين أن سعادة النفس وغبطتها – كما عبر عنها غابرييل مارسيل – "تمثل حالة الامتلاء... التي تشعر فيها النفس بوحدتها وتكاملها وحضورها أمام نفسها"[5].

يدخل "ريكور" حقل مطارحة مسألة الشر وارتكاب الإنسان الخطأ من زاوية أنه لا يريد البحث فيما إذا كان الشر جذريًا متأصلًا في طبيعة البشر، وإنما المكان الذي يظهر منه الشر، في مقاربة له من منظور تأويلي جديد لرموز الخطيئة والإثم والذنب، يطرح فيها افتراضات جديدة للعمل ومنهجية للتعاطي معها، يقيمها على فكرة "الكلانية" بوصفها فكرة موجهة، بالمعنى الكانتي، ليست بوصفها قاعدة للتفكير النظري فحسب، وإنما يوسعها نحو نظرية للإرادة الإنسانية، التي تصنع الفعل الإنساني.

إن هذه المحددات المنهجية، التي يطرحها ريكور ضمن جدلية الإرادي واللاإرادي، والتي يُخضعها لأفكار اللاتناسب وقطبية المتناهي واللامتناهي، ومفهوم التوسط (قطبية اللاتطابق بين الإنسان ذاته)، تكشف عن الهشاشة التكوينية للإنسان، يدخل الشر منها بوصفها إمكانية تلتصق بالوجود الإنساني، هذه الهشاشة النوعية يلخصها "ريكور" في مفهوم "اللاعصمة" الإمكانية التي ينبثق منها الشر.

---

(1) زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، دون تاريخ، ص94.

(2) بليز باسكال، خواطر، ترجمة ادوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1972، هامش ص129.

(3) بليز: باسكال، خواطر، مرجع سابق، ص129.

(4) يوسف: كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، د.،ت ص95.

(5) زكريا: إبراهيم، مشكلة الإنسان، مرجع سابق، ص95.

هذه الاستقصاءات التي يطرحها ريكور عن مفهوم "اللاعصمة" ذات طابع أنتربولوجي «تمكن من ربط مسألة الشر بالخطاب الفلسفي»[6]، لذلك على الفلسفة ألا تتوقف في منتصف الطريق؛ إذ عليها أن تفهم كل شيء، حتى ما هو خارج منظورها العقلاني «فالفلسفة لا تستطيع أن تقول هنا يتوقف الخطاب العقلاني، وهنا يبدأ الخطاب الأسطوري»[7]، وعليه فإن تأمل مسألة الشر يطرح جملة من التساؤلات حول نشأة الشر، وكيف دخل إلى الإنسان؟ وهل هناك منبت للشر في طبيعة الإنسان أم أنه خارج عنه؟ وكيف اقترف الإنسان الشر؟ وما معنى أن يكون الإنسان خطّاء؟ وما علاقة تناهيه بارتكاب الخطأ والشر؟ وما المقصود بمفهوم "اللاعصمة"؟

أولًا: محدودية الإنسان وقابلية الخطأ:

ينطلق "ريكور" في مقاربته لمسألة الشر وإمكانية وقوع الإنسان في الخطأ، من التعامل معه، باعتباره أمرًا واقعًا ولازمًا للفعل الإنساني، أكثر منه حقيقة نظرية "فالشر ليس شيئًا كائنًا، ولا كائن له، ولا طبيعة، لأنه منا ولأنه من عمل الحرية"[8]. فالشر ليس كامنًا في الطبيعة، كما حاول تصويره كثير من الفلاسفة اللاهوتيين، فـ"أوغسطين" ينظر إلى الرغبة كأصل لكل الشرور، ومن العبث البحث عن الشر خارج الطبيعة البشرية، كونها طبيعة فاسدة وموروثة عما يسمى "بالخطيئة الأصلية". كما يخالف "ريكور" الفيلسوف "كانط"، الذي ربط الشر بطبيعة البشر بوصفه "شرًا جذريًا"، أي نزوعًا أصليًا متجذرًا في طبيعة الإنسان؛ «جذوره تمتد إلى داخل إرادته وتغور في أعمق أعماق حريته... التي يخرج منها الشر»[9]، تلك الحرية أصل الشر، كما هي أصل الخير، هذا الشر الجذري يؤوله "ريكور" على أنه محدودية الإنسان، بمعنى ضعفه في فعل الخير ومعرفة الحقيقة. و"ريكور" نفسه يحاول أن يفهم الشر من جهة الإنسان وحريته، لكن فقط ليفهم المكان الذي يظهر فيه الشر، والكيفية التي يتصل بها بالوجود الإنساني، والذي يُظهره بوصفه واقعًا فعليًا ملموسًا؛ إذ إن «إنسانية الإنسان هي، وبحسب أية فرضية، فضاء ظهور الشر»[10]، فالإقرار بأن الشر استطاع أن يدخل العالم عن طريق الإنسان، يجعل من الحرية شرطًا من شروط وجوده، الأمر الذي يدخله في حقل المعقولية ويصبح قابلًا للفهم، وبدونه يبقى انبثاق الشر لغزًا معلقًا وغير واضحٍ*.

إن اعتبار الشر من عمل الإنسان الحر، يرتبط بإرادته ومن اختياره طوعًا. والإعلان بأن «فهم الشر من خلال الحرية، هو نفسه حركة الحرية التي تأخذ الشر على عاتقها»[11] يفرض الاعتراف بمسؤولية الإنسان عن اقترافه الشر، وأنه غير مستقل عن حريته، ويدحض قيامه بفعل الشر عن طريق التخلي، فالإنسان ليس فقط مكان ظهور الشر؛ بل هو فاعل ومنفذ له، فإمكانية الشر واقتراف الإنسان للخطأ، التي تبدو منقوشة في البنية الداخلية للإنسان، تتعارض ورؤية "أفلاطون"، عن أن أخطاء الإنسان خارجة عن إرادته، تفرضها عليه ظروف خارجية «سببتها حالة السقوط المعرفي (الإبستمولوجي) للروح في عالم النقص المحسوس»[12]، ما يمنع عنه تحمل مسؤولية أخطائه، فهي ليست من اختياره وتمتنع محاسبته عليها، وتخليص الإنسان من أخطائه يكون "بالطهارة القلبية" من سموم الحواس بزيادة المعرفة والتعلم.

---

(6) بول: ريكور، الإنسان الخطاء، ترجمة عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2003، ص9.

(7) بول: ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2005، ص15.

(8) بول: ريكور، صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية، ترجمة منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 2005، ص320.

(9) جورج: زيناتي، الفلسفة في مسارها، الأحوال والأزمنة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص196.

(10) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص20.

* في كتاب "الإنسان الخطّاء" يطرح ريكور نوعًا من انطولوجيا الإنسان، أي يبحث عن جوهر الإنسان في وجوده، عن الأمر الذي يجعله قابلًا للوقوع ليس في الخطأ. وحسب وإنما في الخطيئة أي ارتكاب الإثم. ما يجعل الحديث عن الخطأ، حديث عن ارتكاب للشر في قلب هذا الخطأ الممارس في أفعال الإنسان. راجع: بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص14.

(11) بول ريكور، المصدر السابق، ص21.

(12) فاطمة درويش، الخطأ فلسفيًا، الموسوعة العربية، المجلد الثامن، ص841.

إن قيام الإنسان بفعل الشر وارتكابه للخطأ المرتبط بإرادته، ما كان ليحدث إلا نتيجة محدودية المخلوقات التي تمثل، بحسب ليبنتز، فرصة للشر الأخلاقي، ولكن هذه المحدودية، التي أراد تصويبها "ريكور"، تبقى ناقصة إن لم تعزز بمعنى محدد، «ذلك أن أي محدودية لا تعتبر إمكانية للخطأ»[13]، إذن ما الذي قصده ريكور بمحدودية الإنسان؟ وكيف ربطها بإمكانية الوقوع في الشر؟

ينطلق "ريكور" من فرض، أن حقيقة الإنسان، بوصفه كيانًا محدود القدرة والإمكانات، تتناسب والإقرار بأنه خطّاء بطبيعته الموسومة بالنقص والتناهي*، التي تتيح إمكانية ارتكاب الخطأ. هذه النظرة الطبيعية لنزوع الإنسان في السقوط بالخطأ والذنب يفرضه تناهيه المتمظهر بموضوعة (الطبع)، ولا تناهيه في مطلب السعادة. هذه القطبية بين التناهي واللاتناهي، يطرحها "ريكور" انطلاقًا من نظرته للإنسان ككل**، أي النظر إليه من النظرة الكلية لعدم تطابقه مع نفسه، من لا تناسبيته التي يصنعها بوجوده، و«عدم تناسب الإنسان هو إمكانية الشر»[14]. واللاتناسب هو عدم مواءمة أو انسجام وجودي بين طموح السعادة وإمكاناته المحدودة، بين لا متناه يفتح الآفاق بلا حدود وبين متناه يدخل الشر منه إلى بنية الإنسان.

تحت أطروحة المتناهي، وعلى المستوى النظري، مفكرًا فيه بوصفه شيئًا متعاليًا، يقرن "ريكور" المتناهي بتوسط الجسد، الذي يرجع إليه تجربة التناهي، فجسدي – كوسيط للظهور – يجعلني منفتحًا على العالم ومكشوفًا للآخرين، أي يكشف الداخل للخارج، ويلفت الآخر إليّ عبر «قدرته الاستيعابية للعالم في الأشكال المألوفة في هذا العالم، الذي يتحرك فعلي [جسدي] في أرجائه، في نتاجات العمل والفن»[15]، في هذا الانفتاح يصبح جسدي وسيطًا للوعي القصدي*. فالتناهي، لا يقتصر على فعل تلقي الأشياء والموضوعات بوساطة انفتاحي على العالم؛ بل هو "مبدأ الانحسار والانغلاق في الانفتاح"[16]. أما فعل اللاتناهي، فهو بحسب "ريكور"، مجال أو سعة الإرادة وهذا المجال لا نهائي.

أما مظهر التناهي العملي هو الطبع؛ إذ إن "الجانب العملي يلبي حاجة الكلانية غير المشبع بتفكير متعالٍ"[17]، وهو ليس شيئًا أو قدرًا، إنه "طريقتي في الوجود، بحسب منظور متناه، يؤثر على انفتاحي على عالم الأشياء والأفكار والقيم والأشخاص"[18]، إنه القطب المتناهي للوجود، والذي يفهمه "ريكور" ضمن سياق قصدية الرغبة، الإحساس العميق بالوجود، الذي يكشف أن جسدي هو شيء آخر غير حرية العبور إلى العالم؛ "فالجسد ليس وسيطًا خالصًا، بل هو أيضًا مباشرًا لنفسه"[19]. هنا يحصل انغلاق انفتاحه القصدي، وإذا لم يستطع الجسد أن يكون مباشرًا لنفسه يحصل انغلاقه العاطفي. وحتى معارفنا هي نوع من الجسد النفسي، الذي يتضمن «العلاقة بين الفعل والجسد المنفعل، بين إرادة وقدرة موضوعة بخدمتها»[20]، وهذا ما يقصد بتوسط الإرادة التي بوساطة قوتي تصنع عجزي. لكن تناهي الطبع، بوصفه الانفتاح المتناهي لوجودي مأخوذًا ككل، ليس هو «تناهي الصيغة الطبعية في علم

---

[13] بول ريكور، التأويل الفلسفي والديني لمفهوم "عدم العصمة"، ترجمة مصطفى المعارف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، تاريخ الزيارة: 2021/1/17. على الموقع: https://www.mominoun.com/artides/2405

* إن وقوف ريكور على فكرة التناهي (تناهي الطبع) ولا تناهي السعادة كاستهداف لأفعال الإنسان، وغيره من الفروض – كما أشرنا في المتن – سمحت بإقامته انتربولوجيا فلسفية، يفهم من خلالها طبيعة الشر وماهيته، بخلاف فلاسفة (التيوديسية) (العدل الإلهي) والتي بنيت على أسس نظرية خالصة.

** إن مفهوم الكل (الكلانية)، والذي يستعيره ريكور من كانط، كمطلب جامعي (النظر إلى الإنسان كعارف وفاعل ومنفعل)، يفهم معنى الحقيقة كديالكتيك غني وكامل لمفاهيم القطبية والتوسطية الإنسانية، راجع مقال ريكور، التأمل الفلسفي والديني لمفهوم عدم العصمة، مصدر سابق، ص10.

[14] بول ريكور، التأويل الفلسفي والديني لمفهوم اللاعصمة، المقالة السابقة، ص13.

[15] بول ريكور، الغسنان الخطاء، مصدر سابق، ص49.

* القصدية: تعني أن الوعي يستهدف دومًا أمرًا خارجيًا ولا يكون مجرد انطواء على ذاته.

[16] بول ريكور، المصدر السابق، ص54.

[17] بول ريكور، المصدر السابق، ص85.

[18] بول ريكور، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص260.

[19] بول ريكور، الإنسان الخطاء، مصدر سابق، ص96.

[20] بول ريكور، الإنسان الخطّاء، ص98.

الطباع»[21] الذي ينظر إليه كطبيعة ثابتة جامدة موروثة، ليس لنا يد في اختياره؛ لأنه، وبالنظر إلى حركية فعل الوجود بوصفه وجودًا معيشًا وليس مفهومًا مجردًا، يدخل الطبع، على الرغم من جموده المفترض، بعلاقة متباينة مع قطب اللاتناهي، متمثلًا في مفهوم السعادة*، هذا التعارض أو "اللاتناسب" بين المتناهي واللامتناهي، بين «الانغلاق والتحيّز التكويني» للطبع، وبين الانفتاح الذي يمثله استهداف السعادة الذي نطمح إليه، يمثل "ثغرة" في الوجود، مما يجعل "السقوط" في الشر أمرًا ممكنًا. هذه المسؤولية، التي يناط بها "عدم التناسب" للوقوع في الخطأ ومن ثم ارتكاب الإثم ضمن ثنائية المتناهي واللامتناهي، تفصح عن هشاشة مستمرة في الوجود الإنساني، وتحديدًا الهشاشة العاطفية، لأن ساحة الشعور، بنظر "ريكور"، هي الأساس في أن للشر معنى أخلاقي.

ثانيًا: الهشاشة العاطفية:

إن تأرجح الإنسان في واقعه المعيش بين الطموح اللامتناهي لتحصيل السعادة، وواقع وجوده المحدود المتناهي، يفصح عن "لا تناسبية" في الوجود، يعيشها الإنسان، بوصفه فقرًا أنطولوجيًا مرسومًا في بنية نفسية الإنسان، تُفهم بوصفها مرادفة لهشاشة يحياها الإنسان باستمرار في حياته. هذا الواقع الذي يشير إلى "تمزق مؤثر" وبؤس للوضع الإنساني قد لخصه "أفلاطون" في إحدى أساطيره (المأدبة)، حين جعل "إيروس" وهو إله الحب (هو هنا بنظر "ريكور" الفيلسوف لأنه الإنسان المحب)، ابن "بوروس" رمز الكثرة والوفرة من ناحية أبيه، وهو ابن "بينا"، والدته المعدمة، التي تعيش البؤس والحرمان والفقر[22]. هذا العوز، الناجم عن محدودية كل إمكانية بشرية، (اللاتناسب) قابع في بنية الإنسان وتكوينه.

هذه اللاتناسبية تتخذ على المستوى المعرفي*، وجود عدم تلاؤم بين "التطلع إلى المعرفة والتجذر الحسي المعرفي، ومن وجهة نظر الفعل، لا تناسب بين مراد السعادة ومحاكاة الطبع"[23]. وفي قلب هذا اللاتناسب يكمن صراع يحياه الإنسان بين الأهواء والرغبات وبين تطلعاته وآماله على المستوى العاطفي وعلى المستوى العملي، "إن اللاتناسب القائم بين اللذة والسعادة يكشف بدوره عن هشاشة الإنسان، وعن الإمكانية الأساسية للصراع، والشعور وحده بإمكانه أن يكشف عن هذه الهشاشة"[24] العاطفية، والتي هي "التثاني" الإنساني للشعور، يحللها "ريكور" على أساس الارتباط والتبادلية بين المعرفة والشعور بالإعلان: أن المعرفة تقيم قطبية أو ما يعرف بثنائية الذات والموضوع، في حين أن الشعور "يفهم بالمباينة ككشف لعلاقة بالعالم الذي يصوب باستمرار ارتباطنا، تلازمنا وانتماءنا بشكل أعمق من كل قطبية أو تثان"[25]. وعلى أساس ديالكتيك المعرفة والشعور، نستطيع أن نفهم، مع "ريكور"، ذلك الارتباط وتلك التبادلية بمعناها الواسع: من المعرفة وتحديدًا من التمثل تكون الموضوعات مقابلة للذات، أما "الشعور يؤكد التئامنا، انسجامنا ولا انسجامنا الاختياريين تجاه الحقائق التي تحمل في داخلنا نقشها العاطفي على نموذج ما هو "أحسن" وما هو سيّئ"[26].

---

(21) المصدر السابق، ص101.

* الحقيقة أن "ريكور" يستعير من "كانط" مقولاته العملية حول السعادة، فيرى بأن وعي الكائن العاقل لمتعة الحياة هي السعادة، وكما وأني حامل غاية العقل القصوى تنسجم مع استمراري في الوجود. إن فكرة للإرادة التامة هذه والغاية للعقل، تحفران في رغبتي عمقًا غير متناه يترجم في رغبتي بالسعادة. راجع بول ريكور، الإنسان الخطاء، ص112-113.

(22) بول ريكور، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص14.

* إن مقاربة "ريكور" الأنتربولوجية لمفهوم "اللاعصمة" يطرحه عبر نماذج ثلاثة للهشاشة؛ هشاشة في المعرفة وهشاشة الفعل، وهشاشة في الشعور، قائمة على موضوعة اللاتناسب التي تسم البناء التكويني للإنسان، وهي مستويات مترابطة يتم فيها السؤال عن إمكانية المعرفة، وطبيعة أفعال الإنسان ومآلها، ثم أمله في العيش بسعادة، وكلها بنيت على فكرة مركزية وهي فكرة الإنسان القادر. راجع بول ريكور، الإنسان الخطاء، ص130-131.

(23) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص10.

(24) عدنان نجيب الدين، مسألة الشر في فلسفة بول ريكور، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2008، ص148.

(25) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص135.

(26) المصدر نفسه، ص130.

وعلى أساس هذه الوضعية يكوّن الشعور روابطه العاطفية بين الحب والكراهية بين الفرح والحزن... ويعبر عن انتمائنا إلى هذا المشهد العاطفي الذي هو علامة عن حميميتي، ويكشف عن الميول العاطفية التي توجه حياتنا نحو العالم، والتي تحمل سمة القطبية، وليست المشاعر البسيطة التي طرحت في نظريات الانفعالات* في الفلسفات السابقة. هذه القطبية (Polarity) تفرض اللاتناسب المزدوج للرغبة وللحب الروحي الذي يشكل خصوصيتنا العاطفية. هذه الفرضية يظهر وجودها بحالتين (فميا يتعلق بموضوع اللذة): الأولى: تنجز أعمالًا أو سياقات جزئية معزولة ومتناهية، وهذه هي اللذة، أما الثانية، فيعود إليها: إكمال العمل الكلي للإنسان، وهذا عمل الفاهمة، تلك هي نهاية التوجه والمصير، مشروع وجودي، فتصبح السعادة، والتي مثلها أرسطو في أخلاقياته (ليس خبث اللذة هو ما تتجاوزه السعادة بل كمال اللذة)، من ثمّ لم ينظر أرسطو إلى اللذة بوصفها ضلالًا (شر) غير محدود كفلسفات أخرى[27].

يعطي "ريكور" للشعور مكانة أكثر من هوية الوجود والعقل في الشخص فهو "انتماء الوجود نفسه إلى الكائن الذي يكون فيه العقل فكرًا"[28]، إنه الفضاء الأولي الذي به يستمر وجودنا. هذا الشعور يسميه "ريكور" "الإيروس الغريزي"، هذه المشاعر الروحية لا تقبل أي إشباع متناه، وتشكل قطب اللاتناهي في حياتنا العاطفية. هذه القطبية تسير عندنا باتجاهين: انتماء لل "نحن"، وانتماء للأفكار التي تُظهر ملازمتنا للكائن بمجمله، فمشاركة الشخص في الإنسانية عبر صور الصداقة والحب غير ممكنة، دون المشاركة بفكرة خلاّقة، تمنح بعدًا معنويًا للجماعة وتمنحها المعنى، هذه المشاركة للأفكار (المحبة) هي أوج الشعور العقلي الروحي[29]. هذا البعد المعنوي (لعلاقة الحب أو الصداقة مع الآخر)، تأخذ شكل قيمة، وليست منظورة ولا معلومة، بل معتقدة. فأنا أعتقد أني أساوي قيمة بنظر الآخر الذي يقبل وجودي في علاقة الصداقة أو الحب تلك، في هذا النطاق هذا الآخر هو أنا. هذه العلاقة التي دخلت فيها مع الآخر، أحترمها فيه وفي ذاتي. هذا التقييم المؤثر هو أعلى درجة يستطيع وعي الذات أن يصل إليها في "التيموس"*.

في هذا التقييم نحن نلجأ إلى المفهوم العاطفي عندما نحاول أن نفهم الآخر أو نفهم أنفسنا، لأنه ليس الآخر وليس أنفسنا ما نفهمه، بل مضمون الاعتقاد، فكرة شعور القيمة الذي فيه يتكوّن الأنا والآخر، ولأنه معتقد، فإنه قيمة الأنا والآخر، ولأنه معتقد فإن قيمة الأنا هنا يمكن أن تكون مضللة خدّاعة، أو تكون مرفوضة ومن ثمّ محتقرة، فبعدم الاحترام في عاطفة الحب والصداقة يمكن أن يعوّض في احترام للذات مبالغ فيه، أو احتقار للآخر يأخذ شكل عدوانية وثأر. ولا شيء أكثر هشاشة ولا شيء أكثر إيذاءً من وجود تحت رحمة الاعتقاد[30] هذه الهشاشة تأخذ مسبقًا شكل "اللاتناسب" بين الرغبة والعقل، الذي يعاني فيه القلب من ذلك التنافر البدئي بينهما: هذه اللاتناسبية الهشة، أمر نعيشه على مستوى كينونتنا، يحوّل إمكانية الوقوع في الخطأ (الشر)، إلى اقتراف الشر، وهذا ما يشار إليه بمفهوم "اللاعصمة".

ثالثًا: اللاعصمة وإمكانية الوقوع في الخطأ (انبثاق الشر):

---

* في سيكولوجيا العواطف في الفلسفات السابقة، وفي نظرياتهم عن الانفعالات كان الموجّه الأساسي في رسائلهم، أنه بالإمكان اشتقاق كل العواطف حسب نسق تدريجي من البسيط إلى المعقد، انطلاقًا من العواطف البسيطة الأولية إلى المعقدة، كالرواقية وديكارت والأهم سبينوزا في نظريته عن الانفعالات، التي ضمنها في الكتاب الثالث من مؤلفه الأخلاق، في حين أن نقطة انطلاق ريكور ليس من البسيط، بل من المزدوج وليس من الأولي بل من القطبية.

(27) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص145-146.

(28) المصدر السابق، ص158.

(29) المصدر السابق، ص159.

* إن أفلاطون أول من تحدث عن التيموس، بمعنى الرغبة وذلك من خلال اقتراحه لنموذج أخلاقي يعبر عن كمال الإنسان. والتيموس هنا روح الإنسان كدافع أو سبب في تحريك وتوجيه حياة الإنسان، أما عند هيغل فهو يأخذ شكل الرغبة في الاعتراف بالصراع الإنساني القائم على ثنائية السيد/ العبد، حيث وصل السيد هذه المرتبة عبر إنزال الآخر إلى مرتبة العبد، والتطور التاريخي اتخذ شكل صراع ضمن هذه القطبية.

(30) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص187-188.

إن المحدودية النوعية للإنسان، والتي هي مرادفة للهشاشة، تجعل الشر وحده ممكنًا، وتكون اللاعصمة، الفرصة التي يمكن للشر من خلالها اقتحام حياة الإنسان كواقعة فعلية لانبثاق الشر، هنا يطرح "ريكور" تساؤله عن معنى أن يكون الإنسان خطّاء؟

في التقليد الفلسفي كانت الإجابة، التي أتت على لسان "ليبنتز" – كما مهدنا سابقًا – أن إمكانية الشر المعنوي* منقوشة في بنية الإنسان، بوصفه محدودًا أو متناهيًا، ومحدوديته هي فرصة الشر المعنوي، الذي يأخذ طابع الشر الميتافيزيقي.

يحاول "ريكور" تصويب هذا الفهم بالقول إن "فكرة المحدودية مأخوذة كما هي، غير كافية لمقاربة عتبة الشر المعنوي"[(31)]. مؤكدًا أن محدودية الإنسان النوعية، ليست ناتجة، عن كونه مشاركًا في العدم واللاكينونة كونه متناهيًا؛ بل في عدم مطابقته مع ذاته. إن مفهوم اللاتناسب بين الذات والذات، هو الذي يلبي حاجة أنطولوجية للحقيقة الإنسانية؛ لأن هذه العلاقة هي التي تصنع من المحدودية الإنسانية مرادفًا للاعصمة[(32)]. ولكن إذا كانت الهشاشة التي تأخذ شكل المحدودية أو الوساطة التي يجريها الإنسان في الموضوع، وفي فكرته عن الإنسانية، وفي قلبه، مسرحًا لإمكان الخطأ ومسوّغًا وراء ظهوره، عندها السؤال الذي يُطرح: بأي معنى تكون تلك الهشاشة قادرة على الخطأ وما هي طبيعة هذه القدرة؟

إن لا تناسب الإنسان – بحسب ريكور – هو إمكانية الشر، أي ما يجعل فرصة الوقوع فيه أمرًا ممكنًا، في حين تمثل اللاعصمة حالة ارتكاب الخطأ، بوصفه نقطة المقاومة الأضعف؛ إذ يستطيع الشر الدخول إلى الإنسان"[(33)] لأنه يجمع المتضادات في شخصه، بينه وبين ذاته وبينه وبين العالم. فإمكانية الخطأ تكمن إذن في ضعف الإنسان وهشاشته التي تعطي الشر فرصة للظهور في سلوكه وأفعاله، الأمر الذي يكشف عند "ريكور" عن معنيين أساسيين لمفهوم اللاعصمة بوصفها إمكانية لوقوع الشر: إمكانية ظهور الشر وواقعية الشر، و"هذه المسافة بين الإمكانية والواقع، تنعكس في مسافة مشابهة بين الوصف الأنتربولوجي البسيط للاعصمة وبين الأخلاق، الأولى من ناحية الشر، والثانية تلقى المعارضة الواقعية بين الخير والشر"[(34)]؛ معارضة تأخذ شكل "قيمة" بين ما هو خير وما هو شر، هذه المعيارية في الأخلاق بالمعنى الواسع تفترض مسبقًا، وبحسب ريكور، هشاشة الوساطة القائمة بين الذات والموضوع؛ أي تفترض ذلك الإنسان الذي افتقد، توليفة الإنسانية في ذاته، وتوليف المتناهي واللامتناهي، باختصار افتقد ما هو جوهري، وأضاع هدفه في الحياة، والذي وجدته الفلسفة في بداياتها كإنسان بارمنيدس الذي صحبه خارج أبواب الليل والنهار، وذاك الذي سحبه أفلاطون من كهف الظلمة عبر نور الشمس، وإنسان ديكارت الذي استقام تفكيره في دروب الحقيقة عبر طريق الشك. إنسان ضال ضائع ناسٍ أصله[(35)]. وما تعالجه الأخلاق على المستوى العملي من تربية وتنشئة أخلاقية، هو جزء خارج المجال الذي افتقد فيه الإنسان جوهر بنائه الأنطولوجي.

أما من ناحية مستوى (الوصف الأنتربولوجي)، وبالمعنى الأول لمفهوم اللاعصمة كإمكانية صرفة للوقوع في الخطأ، فإن الشر لا يترافق مع حالة السقوط في الخطأ أو وقوع الشر، لأن السقوط غير ممكن دون حالة البراءة التي ليست سوى "تمثيل حياة إنسانية تحقق كل إمكانياتها الأساسية دون وجود فارق بين توجهها الأصلي وتمظهرها التاريخي"[(36)]، هنا البراءة نوع من عدم العصمة دون

* يتحدث ليبنتز عن أنواع ثلاث للشر "الشر الميتافيزيقي وهو النقص في الوجود، والشر الطبيعي ويتمثل صورة الألم، وأخيرًا هناك الشر الخلقي الذي يتحدد في مفهوم الخطيئة. راجع، ليبنتز، مقالة في الميتافيزيقا، المقالة الثالثة، ترجمة وتقديم وتعليق: د. طاهر بن ميزة، المنظمة العربية للترجمة، 2006.

(31) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص199.

(32) المصدر نفسه، ص201.

(33) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص211.

(34) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص211.

(35) المصدر نفسه، ص212.

(36) بول ريكور، التأويل الفلسفي والديني لمفهوم اللاعصمة، مصدر سابق، ص14.

الوقوع في الخطأ، كما أن عدم العصمة لن تكون سوى هشاشة وضعف وليست سقوطًا. في أسطورة البراءة هذه الحالة من البراءة منجزة خارج الزمانية، ولا مكان لها في "جغرافية" الإنسان العاقل وتاريخه، ومع ذلك يقول ريكور لها مكان في مخيلة الإنسان.

هذه التخيّلية لحالة البراءة تكشف عن ماهية التكوين الأصلي؛ إذ يتم إظهاره على نحو "نمط وجودي" مرمز يبتدئ في السقوط وفي الإدانة باعتبارها سقوطًا، من ثمّ، "فإن عدم العصمة كإمكانية خالصة، دون شرط السقوط، التي من خلاله تبدو عدم العصمة أمرًا عاديًا"(37). وعندها، وكما يشير ريكور، فإن قولنا: إنّ الإنسان خبيث جدًا لدرجة أننا لم نعد نعرف ما يمكن أن تكون عليه طيبته، لا يعني شيئًا: فإذا لم أفهم "الطيب" فأنا لا أفهم "الخبيث"؛ لذلك وجب فهم الاثنين معًا، تمامًا كما أن أسطورة السقوط (سقوط الإنسان في الخطيئة) غير ممكنة إلا داخل أسطورة الخلق والبراءة(38). وبدون هذه "القفزة" أو "الانزلاق" من البراءة إلى السقوط لا يمكن الحديث عن الشر والعبور والانتقال من اللاعصمة إلى الخطأ، وفرض نفسه كمتوضع في العالم. "إن الشر بوصفه وضعًا يمكن اكتشاف الطابع المضاد للشر بوصفه إنجازًا للوهن، لكن حركة الوهن هذه تنسحب، والمرمز إليها في الأسطورة المقدسة بصورة حواء، تكون ممتدة إلى الفعل الذي يأتي منه الشر"(39). هذا الأمر نعيشه في حالة الضلال التي تسوقنا من الضعف إلى الإغراء*، من الإغراء إلى السقوط في الخطأ. كذلك تبدو لحظة "اعتراف" الإنسان بالشر ومسؤوليته عنه كتموضع، يفرض نفسه على الإنسان، والذي يظهر أنه "يولد من المحدودية نفسها بالتحول المستمر للترنح**"، وهذا التحول من البراءة إلى الخطأ، والمكتشف في وضعية الشر نفسه هو الذي يعطي لمفهوم اللاعصمة كل غموضه العميق"(40). والذي لم تستطع كل فلسفات الأخلاق السابقة، وحتى الأكثر نضجًا برأي ريكور (نظرية العدل الإلهي "الثيوديسية"). حلَّ لغز الشر وفهم واقعيته، لذلك يجب الإقلاع عن التفكير بالشر. "إن تجربة الشر هي الكفيلة بفهم الشر كحضورٍ في العالم"(41).

ولكن ما الذي يسببه الشر وارتكاب الخطأ في حياة الإنسان عبر أفعاله؟ وكيف يؤثر في مطلب السعادة بوصفها غاية قصوى للبشرية؟ يميز ريكور في تجربة الشر، الذي يوضع تحت مصطلح "الخطيئة الأصلية" في التقليد المسيحي الغربي، بين مستويات الألم والتأنيب والندب فالألم مغاير للخطيئة، ففي الوقت الذي تُلقى فيه تبعة الشر في الخطيئة على فاعل ومسؤول، فإن الألم هو الذي نتلقاه "فنحن لم نتسبه لكن يصيبنا"(42) فالإنسان عندما يقترف الخطأ يصبح مذنبًا، والألم الذي نعانيه نتيجة ذلك الخطأ، يجعل منه ضحية يحدده الندب. هذه قطبية وجودنا المحتومة والمحزنة، وواقعنا المأساوي الذي ترسمه لنا الحياة بعيدًا عن حريتنا، وما العقاب الذي يقع علينا بشقيه المادي والمعنوي، كشعور تأنيب الضمير، أو قصاص جسدي، أو فقدان حرية، إلا تألم نعيشه بين خطأ مرتكب وشر متلقى. فالخطأ، بوصفه فعل شر مرتكب، هو فعل نؤذي به الآخر؛ أي "نجعله يتألم"، والشر المرتكب من قبل أحدهم

(37) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص215.

(38) بول ريكور، التأويل الفلسفي والديني لمفهوم اللاعصمة، مصدر سابق، ص15.

(39) المصدر السابق، ص15.

* طبعًا حالة الإغراء هذه، مثلها الشيطان في هيئة حيّة في سفر التكوين، عندما أغوى حواء بالأكل من شجرة في وسط الجنة، والتي نهى الله آدم وحواء عن الأكل منها لئلا يموتا، فأخرج الله كلًا من حواء وزوجها آدم من الجنة بسبب عصيان كلام الله وأكلهما من تلك الشجرة، هذا الخروج سبّب الشقاء للإنسان ورمّز له في العقيدة المسيحية بالخطيئة الأولى".

** الترنح الوجودي، والذي ينبثق من التأمل بين الولادة والموت، يسميه ريكور بـ "اللاضرورة الحية للانوجاد" وهي التي يعيشها الإنسان في النمط العاطفي للحزن، وهذا الحزن متناه، وهو يتغذى من كل التجارب البدائية التي تسجل السلب: فقدان، خسارة، خشية، أسف، تشتت، هذا الحزن والذي هو "تقليص في الوجود"، يضائل من قدرة الروح على الحفاظ على كينونتها، راجع، بول ريكور، الإنسان الخطّاء، ص207-208.

(40) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص217.

(41) إبراهيم مجيديلة، أنتربولوجيا الإنسان الخطّاء الشر جذريًا والشر تافهًا والشر مؤولًا، مجلة تبيّن، عدد 5/19، شتاء 2017، ص26. الزيارة 2021/2/2. على الرابط الإلكتروني الآتي:

https://en.calameo.com/books/001231435e392605b5e54

(42) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص221.

يُردّ عليه بشرٍ مُتلقّى من الآخر، وهنا فإن "صرخة الندب هي الأعلى صوتًا عندما يشعر الإنسان بأنه ضحية لمكر الإنسان"[43] وهذا ما أشار إليه ماركس في مقولته عن الاغتراب، التي شيئت الإنسان وجعلته سلعة.

من هنا – وكما يذهب "ريكور" – فإن الشعور بالخطيئة والتألم والموت، ما هي إلا تعبير عن الواقع الإنساني في وحدته العميقة، وفي قلب هذا الشعور، يشعر الإنسان بأن الشر يتربص به في كل حركة، يؤدي به إلى أن يحس بأنه ضحية ومذنب لأنه ارتكب الخطأ. وهنا من منظور الضحية (في الرثاء) فإن "ضحايا الشر لا يمكنهم إسكات الشر بأي تفسير عقلاني"[44]، وعندما نصل إلى هذه النقطة فإن "مشكلة الشر، التي تعبر عن ذلك الضلال المبهم للإرادة، لا يمكن إخضاعها لموضعة مباشرة إلا انطلاقًا من تأويلية معينة"[45] مجازية للرموز والخرافات التي تقدم الشر تعبيرًا عن قوى شيطانية شريرة في العالم، هذا التأويل للرموز "هو الذي يهيئ لجعل الأساطير تتصل بالمعرفة التي يكونها الإنسان عن نفسه"[46]. وعندها يكون الاعتراف بمسؤولية الإنسان عن أفعاله هو الذي تجعل الفيلسوف يتكلم عن الخطأ وعن الشر.

ويبقى السؤال الأهم: إذا كان الشر لزامًا وحتمية أنطولوجية وكيانًا يلاحق الإنسان رغمًا عنه، فكيف يستطيع الإنسان تجاوز هذا الواقع المؤثر الذي يعيشه؟

إن الشر ليس له بنية أصيلة في الإنسان، فهو ذاك الذي يأتيه من الخارج، و"ليس لنا معه سوى علاقة صراع وضدية"[47] فالشر هو ذلك الموجود الذي "ما كان يجب أن يوجد" والإنسان "صادفه واستأنفه"، ولذلك فصراعه مع الشر لا يكون بإلغائه، بل بتطويعه لخدمة الإنسانية. وإذا كان الإنسان لا يستطيع اقتلاع الشر من العالم، فإنه بإمكانه التعايش معه، بتوفير ظروف تساعد على تحرير هذا "الاستعداد الطيب" لعمل الخير، وقد ظل "ريكور" "يؤمن بهذه الطيبة البشرية وقدرتها على تخطي مآسي التاريخ"[48]، بالتعاون مع الآخرين، والتناسب بين الجزئي والكلي وفقًا لفكرة "كانط": باحترام الشخص بوصفه غاية، أي إعادة صياغة الإنسانية في الإنسان وتوجيه حياتنا وفقًا للقيم الأخلاقية والإنسانية الكونية.

إن ما حملته تجارب الصراع الأخلاقي من رموز عبر التاريخ، وتحمّل أبطالها (المسيح، أيوب...) هي "استباقات بشكل رموز حكمية للوضع الإنساني"[49] المؤلم، الذي يدعو "ريكور" للتخفيف من حدته، عبر إنقاص كم العنف الممارس من قبل البشر بعضهم ضد بعض، برفع معدلات عمل الخير، وتجميع الناس ذوي الإرادة الطيبة بمقاومة العنف، وهذه هي مهمة الحياة المنفتحة على مستقبل البشرية، وعندها نفهم أن "صورة الله" ليست معرضة للفقدان فينا.

الخاتمة:

في معالجة مسألة الشر والتساؤل عن معنى أن يكون الإنسان خطّاء، طرح "ريكور" نظريته عن "اللاعصمة"، والتي تمثل توسيعًا للأنتربولوجية الفلسفية التي تركز على بناء الإرادة. كما وأن إدراج مفهوم الشر ضمن "اللاعصمة" للإرادة السيئة التي تنغمس في الشر، والتي كشفت عن رؤيا أكثر عقلانية لآليات الانتقال من البراءة إلى الخطأ المكتشف في الشر ذاته، شكلت مرتكزًا للفهم، وذلك بناءً على بنى الواقع الإنساني في اللاتناسب والتوسطية. بين قطبي التناهي واللاتناهي الخاصيّن بالإنسان، بحث "ريكور" عن الضعف أو الوهن الأصلي للإنسان الذي ينبثق منه الشر، وعن هشاشته الجوهرية.

---

(43) المصدر السابق، ص222.

(44) A. Hverhoef. Relation bwetween evil and transcendence: new possibilities? South Africa of Ph. Posophy, 2014, p. 267. https://www.researchgate.net/publication/276/0797.

(45) جان غراندان، المفرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم: د. عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2007، ص142.

(46) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص15.

(47) المصدر السابق، ص11.

(48) بول ريكور، الذات عينها كآخر، مصدر سابق، ص40.

(49) بول ريكور، الإنسان الخطّاء، مصدر سابق، ص246.

إن منهجية "ريكور" تنطلق من أن الشر ليس تأملًا نظريًا وحسب، وإنما مسألة يتلاقى فيها النظر بالعمل وبالشعور، ويرتبط بالفعل الحر الذي يصدر عن الإنسان، بوصفه كائنًا ناقصًا ولا معصومًا، فالإنسان يختار الشر طواعية، فهو يختار فعله حتى لو كان شريرًا، ويتحمل مسؤولية ما يرتكبه من أخطاء وشرور تنجم عن انعدام أي تناغم وجودي في بنية الكائن البشري، المحدود القدرة والإمكانات، وطموحه وآماله، يصبح معه الشر أمرًا لازمًا ولصيقًا بالوجود الإنساني، ما يجعل "إنسانية الإنسان" هي المكان الذي يتمظهر فيه الشر، فتتدخل فيه وساطات ذاتية تجعله غير متطابق مع ذاته.

هذا التباين الذي يعيشه الإنسان ويتألم له، يجعله إنسانًا هشًا غير معصوم، هشاشته هذه ليست فقط محلًا للشرور، بل إنها قدرة الشر ذاته.

إن اقتراف الإنسان للخطأ يبرز بوصفه سلوكًا واعيًا – إراديًا يعبر عن نفسه ويعترف به كائنًا، يقر مسبقًا بأنه بريء، هذا الانتقال من البراءة إلى الخطأ، هو الذي يجعل مفهوم "اللاعصمة" مفهومًا غامضًا، ما جعل ريكور يدخله تحت مسمى "تجربة الشر" كحضور في العالم، يضعه في مقاربة أولى لمفهوم "الخطيئة الأصلية" ومعاني التألم والذنب والإثم.

من المعروف، وفي التقليد الديني – المسيحي، أن تجربة الاعتراف بالخطيئة الأصلية تُطرح بوصفها أساسًا للإيمان وتجاوز الخطيئة، و"ريكور" حين يقر بأن الشر الأكبر هو أن لا يعترف الإنسان به، فإنه، وعلى الرغم من أنه يحاول أن يكون حذرًا في الاقتراب مما هو ديني ونقد كل محاولة تريد أن تدمج بين "فعل الكينونة اليوناني والرب"، يحاول أن يسحب موروثه كأرضية "ملغومة" للحديث عن تجربة الاعتراف بالشر داخل الحرية الإنسانية، ناهيك من أن الديانات الأخرى، كالإسلام، ترى في الشر إغواء من قبل الشيطان للإنسان بارتكاب فعل الشر، بعيدًا عن مفهوم الخطيئة الأصلية، الذي لا يطرح ضمن المعتقد الديني في الإسلام. وإذا كان الشر بحد ذاته كما يقول "ريكور" "غير مبرر"، فكيف يمكن للاعتراف بعدم العصمة من الأخطاء أن يختزل مشكلة أكبر، هي البؤس المؤثر في حياة الإنسان، والذي جذره في تلك الانفصالية القائمة في تجربة الولادة والموت؟ وهل بالفعل بسبب تلك الخطيئة، التي لا يد لنا فيها، نعيش واقعنا ونتحمل تبعة السقوط في الإثم واللعنة الأبدية؟

يبدو أن الحل الذي قدمه "ريكور" في معالجته لمسألة الشر، له وظيفة "علاجية"، كما يقول بعضهم، هدفها أن يعيش الإنسان بصورة أفضل، بالتخفيف من إيقاع الشر في العالم؛ إذ بقي "ريكور" مؤمنًا بانتصار البراءة على الإثم.

المراجع:

1- بول ريكور، الإنسان الخطّاء، رجمة عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط1، 2003.

2- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة وتقديم وتعليق: د. جورج زيناتي، المطبعة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.

3- بول ريكور وآخرون، الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999.

4- بول ريكور، صراع التأويلات دراسات هيرمينوطيقية، ترجمة منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت، 2005.

5- بول ريكور، التأويل الفلسفي والديني لمفهوم "عدم العصمة"، ترجمة: مصطفى العارف، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 14 يوليو، 2020. على الرابط الإلكتروني الآتي: https://www.mominoun.com/artides/2405

6- إبراهيم مجيديلة، إنتربولوجية الإنسان الخطّاء، الشر جذريا، أو الشر تافهًا أو الشر مؤولًا، مجلة تبيين، عدد 5/19 شتاء 2017. على الرابط الإلكتروني الآتي: https://en.calameo.com/books/001231435e392605b5e54

7- بليز باسكال، خواطر، ترجمة ادوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1972

8- جان غراندان، المنعرج الهيرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007
9- جورج زيناتي، الفلسفة في مسارها، الأحوال والأزمنة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002
10- عدنان نجيب الدين، مسألة الشر في فلسف بول ريكور، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2008.
11- فاطمة درويش، الخطأ فلسفيًا، الموسوعة العربية، المجلد الثامن.
12- زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، دار مصر للطباعة، بيروت، د.ت.
13- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت – لبنان، د. ت.
14 Hverhoef , A. 2014. Relation bwetween evil and transcendence: new possibilities? South Africa of Ph. Posophy, , p. 267.